التّطبيق (4): تحليل نصوص من كتابي (البيان والتّبيين) و(رسالة المعلمين) للجاحظ، وكتاب (المقدّمة) لابن خلدون.

النّص الأوّل: قال الجاحظ (255هـ) في باب (أدوات البيان الخمس): "وجميع أصناف الدّلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أوّلها اللّفظ، ثم الإشارة، ثم العقد* ثمّ الخطّ، ثم الحال الّتي تُسمَّى نُصبة.* والنُّصبة هي الحال الدّالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدّلالات. ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها، وحلية مخالفة لحلية أختها، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائقها في التّفسير، وعن أجناسها وأقدارها، وعن خاصّها وعامّها، وعن طبقاتها في السّار والضّار، وعمّا يكون منها لغوا بهرجا، وساقطا مُطرحاً."

ينظر: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتّبيين، ص82-87.

النّص الثّاني: قال الجاحظ (255هـ) في باب (تعليم النّحو والرّياضة): "وأمّا النّحو فلا تشغل قلبه منه إلا بقدر ما يؤدّيه إلى السّلامة من فاحش اللّحن، ومن مقدار جهل العوامّ في كتابٍ إنْ كتبه، وشعر إنْ أنشده، وشيء إنْ وصفه. وما زاد على ذلك فهو مشغلة عمّا هو أولى به، ومذهل عمّا هو أردّ عليه منه، من رواية المثل والشّاهد، والخبر الصّادق، والتّعبير البارع. وإنّما يرغب في بلوغ غايته ومجاوزة الاقتصار فيه، من لا يحتاج الى تعرّف جسيمات الأمور والاستنباط لغوامض التدبّر، ولمصالح العباد والبلاد، والعلم بالأركان والقطب الذي تدور عليه الرّحى؛ ومن ليس له حظّ غيره، ولا معاش سواه."

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الرّسائل الأدبيّة، ص205.

النّص الثّالث: قال ابن خلدون (808هـ) في (الفصل الخامس والأربعون في علوم اللّسان العربيّ): "أركانه أربعة وهي اللّغة، والنّحو، والبيان، والأدب ومعرفتها ضروريّة على أهل الشّريعة، إذ مأخذ الأحكام الشّرعيّة كلّها من الكتاب والسّنّة، وهي بلغة العرب ونقلتها من الصّحابة والتّابعين عرب وشرح مشكلاتها من لغاتهم فلا بدّ من معرفة العلوم المتعلّقة بهذا اللّسان لمن أراد علم الشّريعة. وتتفاوت في التّأكيد بتفاوت مراتبها في التّوفية بمقصود الكلام حسبما يتبيّن في الكلام عليها فنّا فنّا والّذي يتحصّل

* العقد هو الحساب من ذلك حساب عدد السّنين والشّهور والأيّام.

* النُّصبة هي الحال الدّالة من غير لفظ، كعظمة الجبال الدّالة على عظمة خالقها، والدّخان الدّال على النّار، واحمرار الوجنتين الدّال على الخجل، وارتفاع درجة الحرارة في الجسم الدّال على الإصابة بالحمى، وغيرها.

أنّ الأهمّ المقدّم منها هو النّحو إذ به تتبيّن أصول المقاصد بالدّلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر ولولاه لجهل أصل الإفادة. وكان من حقّ علم اللّغة التّقدّم لولا أنّ أكثر الأوضاع باقية في موضوعاتها، لم تتغيّر بخلاف الإعراب الدّالّ على الإسناد، والمسند، والمسند إليه، فإنّه تغير بالجملة ولم يبق له أثر. فلذلك كان علم النّحو أهمّ من اللّغة إذ في جهله الإخلال بالتّفاهم جملة وليست كذلك اللّغة والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التّوفيق."

عبد الرّحمن بن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشّأن الأكبر، ص753.

السّؤال- حلِّل النُّصوص الثّلاثة بناء على ما درست في المحاضرة؟